المرجعيّة
في
ضوء حديث الثقلين

[دراسة وتحليل]

تأليف
السيد راضي الحسيني

www.ketab.ir

المرجعية في ضوء حديث الثقلين

(دراسة وتحليل)

التأليف :السيد راضي الحسيني

الموضوع: الحديث ، التاريخ

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الأولى

المطبعة: مجاب

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٣٢ هـ

شابك ١-٦٩٣-٥٢٩-٩٦٤-٩٧٨

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

info@ahl-ul-bayt. org

www. ahl-ul-bayt. org

www.ketab.ir

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية.

وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤولياته الّتي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها الّتي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة الّتي حرصت في الرّدّ على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب الّتي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها ؛ لأنّها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

www.ketab.ir

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدم لطلاّب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات الّتي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ، أومن الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحقّ، لتنفتح على الحقائق الّتي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدّم بالشكر الجزيل لسماحة السيد راضي الحسيني لتأليفه هذا الكتاب.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونيّة الثقافية

www.ketab.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

الحمد لله النّاشر في الخلق فضله، والباسط فيهم بالجود يده، نحمده في جميع أموره ونستعينه على رعاية حقوقه، ثُمّ الصلاة والسلام على البشير النذير والهادي الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى، وعلى آله الطَّيّبين الطاهرين وأصحابه الغُرّ الميامين.

وبعد...

لا شك ولا ريب أنّ السُّنّة النبويّة الشريفة، المتمثّلة بقول النّبيّ ﷺ وفعله، وتقريره، تمثّل المنهج المكمّل للكتاب العزيز، بل في حقيقتها نابعة عن الوحي المقدّس، حيث يقول تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[1].

فسُنّة النّبيّ ﷺ تمثّل جانباً آخر من جوانب الوحي، أراد الله تعالى أن يجريه على لسان النّبيّ ﷺ الكريم لحكمة ومصلحة، هو أدرى بها، وإثبات هذا لا يحتاج إلى مزيد مؤونة، وإن كان يستوجب تفصيلاً، وشواهد جمّة، ولكنّني اكتفيت بالإشارة إلى الآية الشريفة، ودلالة إطلاقها فحسب[2].

إذن مكانة السُّنّة الشريفة في التشريع الإسلامي تمثّل ذروة الصدارة، وأنّها بعد القرآن الكريم تشريعاً، ونهجاً، وثقافةً.

---

(١) النجم: ٢ـ ٥.

(٢) لاحظ كتابنا معرفة أهل البيت عليهم السلام في ضوء الكتاب والسُّنّة: ٢/ الفصل الثاني.

www.ketab.ir

فالقرآن الكريم والسّنّة الشريفة يمثّلان المحورين الأساسيين اللذين يشكّلان الإطار الجامع الذي يلتقي عليه المسلمون جميعاً، ومن هذا المنطلق، فإنّ المرجعيّة العلمية التي تفسّر القرآن الكريم وتكشف عن وجوهه، وتحسم حالة الاختلاف حول أحكامه في الجانبين العقيدي والفقهي، وكذا الحال بالنسبة للسّنّة الشريفة، هذه المرجعية العلميّة هي أهم قضية ينبغي أن تُبحث بدقّة وتُدرس بعمق، وتُستكشف، لاستنتاج ما يحصل به توافق الأمّة الإسلامية، ما دامت تؤمن وتذعن بهذين المحورين الأساسيين (القرآن والسُّنّة).

ومن الطبيعي أن يرشد الرسول الأعظم أمّته إلى مرجعية علميّة تتكفّل حلّ النزاع حول علوم القرآن الكريم وتفسيره، والسُّنّة الشريفة وتوضيحها خصوصاً وأنّها لم تجمع على عصر الرسول، وإنّما أُلقيت عليهم بشكل متفرّق.

وحينما نستقريء الأحاديث الشريفة والسيرة العمليّة للنّبيّ ﷺ، نلحظ المكانة السامية لأهل البيت عليهم السلام عند النّبيّ ﷺ بوضوح، كما نلحظ الدور الكبير، والمسؤولية الرسالية، والحضارية، والمهمّة الخطيرة التي أُسندت إليهم، فيما يخصّ مستقبل هذه الأمّة، وكيانها السياسي والعقيدي.

ومن هنا، فقد صدر عنه ﷺ الكثير من الروايات الشريفة، والمواقف المختلفة، في مجال تبيان شأن أهل البيت عليهم السلام ودورهم المستقبلي في حفظ كيان الأمّة، ولو أنّ ما وصل إلينا نزر يسير ـ لأسباب باتت غير مستورة على أحد[1] ـ من فضائلهم،

---

(١) لقد وردت روايات كثيرة في الصحاح، والمسانيد، والجوامع الحديثية، تبيّن أسباب منع كتابة الحديث، وتداوله بين الصّحابة، بل إحراق صحائف الحديث، تحت دعاوى وذرائع كثيرة، لست بصدد مناقشتها، وإنّما أودّ أن أشير إلى بعضها ومكتفياً بها وبعناوينها، تاركاً للقاريء اللّبيب الاستنتاج، وهي كما يلي: ←

www.ketab.ir

الرواية الأولى: النّبيّ يأمر بكتابة حديثه وقريش تمنعه:

أخرج أبو داود بإسناده عن عبد الله بن عَمْرو قال: كنتُ أكتب كُلَّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺأُريدُ حِفْظَهُ، فَنَهتني قُريش وقالوا: أتكتب كلَّ شيء (تَسمَعُه)، ورسولُ الله ﷺبَشَر يتكلَّم في الغَضَب والرِّضى، فأمسكت عن الكتاب، فذكرتُ ذلك إلى رسول الله ﷺفأومأ بإصبعه إلى فيه فقال: «اكْتُب فَوَالَّذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاّ حقّ»، سنن أبي داود: ٣٦٤٦/٣١٨/٣، كتاب العلم.

الرواية الثانية: عليٌّ عليه السلام يحثّ على كتابة الحديث:

عليّ بن أبي طالب عليه السلام تلميذ القرآن كان يسير في الطرقات ويطلب مَن يأتيه ليملي عليه من الحديث النّبويّ الشريف.

فقد أخرج الخطيب البغدادي بإسناده عن المنذر بن ثعلبة عليّ عليه السلام قال: «من يشتري منّي علماً بدرهم»، قال أبو خيثمة يقول: «يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم»، انتهى. تقييد العلم، للخطيب البغدادي: ٩٠.

الرواية الثالثة: أبو بكر يمنع تداول الحديث:

قال الذهبي: «ومن مراسيل ابن أبي مليكة أنّ الصدّيق ـ أبو بكر ـ جمع الناس بعد وفاة نبيّهم. فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله ﷺ، أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه»، انتهى.

تذكرة الحفّاظ، للذهبي: ٩/١.

الرواية الرابعة: عمر يخالف الصّحابة ويأمر بمحو الحديث:

عن يحيى بن جعدة أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السُّنّة ثمّ بدا له أنْ لا يكتبها ثمّ كتب في الأمصار من كان عنده شيء ـ من السُّنّة ـ فليمحه.

وروى حافظ المغرب ابن عبد البر بإسناده عن عروة بن الزبير، أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أراد أن يكتب السُّنن، فاستفتى أصحاب النّبيّ ﷺ، في ذلك، فأشاروا عليه بأنْ يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثمّ أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إنّي كنتُ أُريد أن أكتب السنن، وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً.

←

www.ketab.ir

جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: ٢٧٤/١، انظر تقييد العلم: ٤٩.

الرواية الخامسة: عمر يحرق حديث رسول الله ﷺ:

وروى ابن سعد، عن عبد الله بن العلاء، قال: سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر، أن يملي عَلَيَّ أحاديث، فقال: إنّ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أنْ يأتوه بها فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها، ثُمّ قال: مثناة كمثناة أهل الكتاب، قال فمنعني القاسم يومئذ أنْ أكتب حديثاً انتهى. الطبقات الكبرى، لابن سعد: ١٤٣/٥.

الرواية السادسة: عمر يأمر الصّحابة بتقليل الرواية عن رسول الله ﷺ:

أخرج الدارمي بإسناده عن قرظة بن كعب، قال: بعث عمر بن الخطاب، رهطاً من الأنصار إلى الكوفة فبعثني معهم فجعل يمشي معنا حتّى أتى صرر وصرار ماء في طريق المدينة، فجعل ينفض الغبار عن رجليه، ثُمّ قال: إنّكم تأتون الكوفة فتأتون قوماً لهم أزيز بالقرآن فيأتونكم فيقولون قدم أصحاب محمد، قدم أصحاب محمد، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث... ـ إلى أن يقول ـ فأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم فيه، قال قرظة: وإن كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله ﷺ وأنّي لمن أحفظهم له فإذا ذكرت وصيّة عمر سكتّ.

سنن الدارمي: ٨٥/١، وقريب منه ما عن الحاكم، في المستدرك على الصحيحين: ١٨٣/١، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وله طرق تجمع ويذاكر بها.

الرواية السابعة: عمر يحبس الصّحابة بسبب روايتهم أحاديث رسول الله ﷺ:

أخرج الحاكم بإسناده عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، قال: بعث عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن مسعود، وإلى الدّرداء، وإلى أبي مسعود الأنصاري، فقال: ما هذا الحديث الذي تكثرون على رسول الله ﷺ؟ فحبسهم بـ«المدينة» حتّى استشهد.

الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عُديّ: ٨٢/١، والمستدرك على الصحيحين: ١٩٣/١، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

أقول: وبسبب هذه السياسة المشدّدة في منع تدوين الحديث النّبويّ فضلاً عن تداوله وروايته، خشي الصحابة من العقوبات المفرطة جرّاء ذلك، مما حدى ببعضهم إلى محو ما كتبه رغم إظهار ندمه على فعلته، فهذا عروة بن الزبير يقول: كتبت الحديث ثمّ محوته، فوددت أنّي فديته بمالي وولدي وأنّي لم أمحه. (أنظر تقييد العلم: ٦٠). بل اتبرى بعضهم إلى محو ما وجده مكتوباً من فضائل أهل البيت عليهم السلام لينجو من تلك العقوبات رغم أنها روايات حسان. (أنظر تقييد العلم: ٤٥). ←

www.ketab.ir

ومنزلتهم، إذْ وصفهم بسفينة النّجاة، وأعلام الهدى، وباب حطّة، محذّراً من الانفراط أو التخلّف عنهم، أو التقدّم عليهم، منبّهاً على ما سيستقبل الأمّة من محنٍ، وعواصف وفتنٍ، واختلافٍ، وافتراقٍ، فلذا ألزم أمّته باتّباعهم، والتمحور حولهم، والاعتصام بالكتاب، وبهم، في سياق روايات جمّة وغفيرة، وفي ظروف مختلفة، ولا نريد استعراض تلك الروايات، وإنّما أودّ الإشارة إلى رواية واحدة، والّتي يستدلّ بها على العنوان المذكور، بعد إشباعها بحثاً، ونقاشاً، مع الالتفات إلى الآراء المعارضة، ومناقشتها، فلذا سيتم الاقتصار على مصادرها من الكتب الحديثية لعلماء الجمهور فقط، لسبب بسيط وهو أنّ الشيعة قد آمنت وأيقنت بمرجعيّة أهل البيت العلمية والسياسة أيضاً.

والله تعالى من وراء القصد، وهو يتولّى الصالحين.

المؤلّف

١٠/رمضان المبارك/١٤٢٨هـ

لكن يا ترى كيف نوجّه كتمان الحديث ومنع تداوله والحال أنّ النّبيّ ﷺ أمر بنشر العلم وعدم جواز كتمانه؟

فقد أخرج ابن عبد البر بإسناده عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ قال: «ما من رجل حفظ علماً فسُئلَ عنه فكتمه إلاّ جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار». جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: ٤/٦/١.

أكتفي بهذه الإشارة المقتضبة، لتبيان الأسباب في شحّة ما وصلنا من روايات عن النّبيّ ﷺ بحق أهل بيته الأطهار، ولو أنّ ما وصلنا يُعدّ كثيراً بلحاظ أنّه مقدار ما قد أُفلت من الرقابة.

ومن أراد معرفة المزيد من الأسباب، والروايات، فعليه بمراجعة كتب السنن والمسانيد والجوامع الحديثية.

www.ketab.ir